

نظرات معاصرة في القرآن الكريم

(115) الجانب، وتكرار الدعوة، فعبر عنهم نوح: (وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبِيرًا *)

(1)، حتى ضاق بهم ذرعاً طيلة هذه المدّة الطويلة التي بلغت ألف سنة إلا خمسين عاماً،
فما أجدى معهم الوعظ ولا الارشاد ولا حسن التأنّي الذي جبل عليه نوح عليه السلام: (فَدَعَا
رَبَّهُ أَنْ نَبِّئْ مَغْلُوبٌ فَاَنْتَصِر *) (2)، فأمره تعالى بصنع السفينة، وضرب له موعداً
فيها بمجيء الأمر لدى فوران التنور، فكان ذلك علامة له، وفيه توجيه وإخبار، توجيه فيمن
يحمل معه في السفينة، وإخبار بهلاك الذين سبق عليهم القول، قال تعالى: (فَأَوْحَيْنَا
إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنْزِيلُ
وَرُفِعَ الْفُلُ فَاَسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ
عِلْمِيهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الْكَافِرِينَ طَلَعُوا إِنْ رَسَّاهُمْ مَّغْرَقُونَ *)
(3)، وكان صنع الفلك بعناية من الله، وبمرئى منه، وفي ظل مراقبته القصوى، ورعايته
الالهية المعهودة مع الأنبياء، وكان قومه يعجبون من هذا الصنع وبهذه السعة الكبيرة،
ويبدو أنهم بمنأى عن الحياة البحرية، وإستقرارهم في مناخ بدوي لا يعدو القوافل الساذجة
البدائية: (وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا
مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنِّي نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ *) (4)،
ونفذ نوح ما أوحى الله به إليه، فأسلك فيها من كل زوجين اثنين ومعه القلّة من المؤمنين،
وأخبرهم بمصيرهم، وهذا الأسلاك كما هو ظاهر القرآن ينبئ أن الطوفان شامل للكرة الأرضية
آنذاك، فأراد الله إستمرارية الحياة للكائنات ومسيرة الحضارة في الحياة، ولو لم يكن الأمر
كذلك لكانت الحياة باقية في جزء من الأرض، كما هي فانية في جزء آخر، لهذا فذهب بأن
الطوفان كان عالمياً، وصدر الأمر الإلهي المّارم: (فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ
بِمَاءٍ مِّنْهُم مَّرِ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ
قُدِّرَ *) (5). _____ (1) نوح: 22، (2) القمر: 10، (3) المؤمنون: 27، (4) هود:

38، (5) القمر: 11 - 12.